المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 19A1 كانون الاول 2025
No.19A Dec. 2025

السنة النبوية ودورها في ترسيخ قيم الانتماء والولاء الوطني: دراسة موضوعية تحليلية

م.م زينب رجاء حمد
جامعة الزهراء (عليها السلام) للبنات
zainab1994masudi@gmail.com

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى استكشاف قيم الانتماء والولاء للوطن كما عرضتها السنة النبوية في سياق فكري وموضوعي، من خلال تحليل النصوص والسيرة، واستنباط الدلالات الشرعية والإنسانية حول علاقة الإنسان بوطنه. وتبرز أهمية الدراسة في ظل التحديات الفكرية التي تواجه المجتمعات الإسلامية، خصوصاً مع تصاعد الخطابات المتطرفة التي اتخذت من مفهوم "الولاء والبراء" ذريعة لتهميش قيمة الانتماء الوطني، أو الخطابات المقابلة التي تدعو إلى فهم قومي مادي منفصل عن الدين. وتكشف النتائج أن السنة النبوية أرست مفهوماً متوازناً للانتماء، يجمع بين الهوية الإيمانية والهوية الوطنية، ويرتبط بمقاصد عليا مثل الأمن، العدالة، السلم الاجتماعي، والمسؤولية الجماعية. كما تؤكد السنة أن حب الوطن فطرة إنسانية أصيلة، وأن صيانة الوطن والقيام بواجباته من صميم الولاء الشرعي.

الكلمات المفتاحية :السنة النبوية، الانتماء، الولاء، الوطن، المواطنة، مقاصد الشريعة.

The Prophetic Sunnah and Its Role in Consolidating the Values of National Belonging and Loyalty

Al-Zahraa University (Peace Be Upon Her) for Women
Lecturer Assistant Zainab Rajaa Hamad

An Objective Analytical Study

Abstract

This research aims to explore the values of belonging and loyalty to the homeland as presented in the Prophetic Tradition within an intellectual and objective context. This is achieved through the analysis of texts and the Prophet's biography, and the derivation of legal and humanistic implications regarding the relationship between individuals and their homeland. The importance of this study is highlighted by the intellectual challenges facing Muslim societies, particularly with the rise of extremist discourses that have used the concept of "loyalty and disavowal" as a pretext to marginalize the value of national belonging, or opposing discourses that advocate a materialistic nationalist understanding separate from religion. The findings reveal that the Prophetic Tradition established a balanced concept of belonging, combining faith-based identity and national identity, and linking it to higher objectives such as security, justice, social peace, and collective responsibility. The Sunnah also affirms that love of one's homeland is an innate human instinct, and that protecting the homeland and fulfilling one's duties towards it are integral to legitimate loyalty.

Keywords: Prophetic Sunnah, belonging, loyalty, homeland, citizenship, objectives of Islamic law.

المقدمة

يُعدّ الوطن أحد المرتكزات الأساسية التي تتشكل معها شخصية الفرد، وتستقر فيها هويته، وتتكون من خلالها دوائر الانتماء التي تربط الإنسان بمحيطه الاجتماعي والثقافي والسياسي. وقد كان الانتماء للوطن عبر التاريخ أحد أهم عناصر الاستقرار وبناء الحضارات، إذ لا يمكن تصور حياة اجتماعية مستقرة دون شعور جمعي بالارتباط بالأرض، وبالمجتمع الذي يحتضن الفرد ويصوغ هويته.

وفي السياق الإسلامي، لم يكن مفهوم الوطن غريباً عن الوحي، فالسنة النبوية خاطبت واقع الإنسان، واهتمت بالأرض التي عليها يعيش، وبالمجتمع الذي ينتمي إليه. بل إن السيرة النبوية تحمل شواهد واضحة على المكانة الوجدانية والعملية للوطن، من خلال حب النبي ﷺ لمكة، وحنينه إليها، وارتباطه الشديد بالمدينة بعد الهجرة. ومن هنا، يتضح أن الانتماء الوطني لم يكن مفهوماً حديثاً طارئاً، بل قيمة أصيلة عززها الإسلام.

وتبرز إشكالية البحث في وجود فجوة فكرية لدى بعض الاتجاهات الإسلامية المعاصرة، إذ ترى فئات أن الولاء ينبغي أن يكون للدين حصراً، ولا مكان للوطن في دوائر الانتماء، بينما نجد خطاباً آخر ينزع القيمة الدينية تماماً من مفهوم الوطن. وفي المقابل، يقدم هذا البحث تصوراً وسطياً يستند إلى السنة النبوية.

وتكمن أهمية البحث في أنه يسلّط الضوء على أحد أهم الموضوعات التي يحتاجها الواقع الإسلامي المعاصر، في زمن يتعرض فيه مفهوم الانتماء الوطني لمحاولات التشويه أو الاستغلال السياسي أو التوظيف العدائي. وهذا البحث يسعى لإعادة إنتاج فهم شرعي متوازن.

أما **منهجية البحث** فتعتمد على:

1. **المنهج الموضوعي التحليلي** :عبر جمع النصوص النبوية المتعلقة بالانتماء والولاء، وتحليلها وفق سياقها.
2. **المنهج المقاصدي** :من خلال ربط نصوص الانتماء بمقاصد الشريعة الكبرى.
3. **المنهج التاريخي** :عبر تتبع تطبيقات السيرة في بناء مجتمع المدينة.

وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسية، يتضمن كل مبحث مطلبين، ثم خاتمة تتضمن أبرز النتائج.

المبحث الأول

الإطار المفاهيمي لقيم الانتماء والولاء في السنة النبوية

يمثل الانتماء والولاء للوطن أحد الركائز الجوهرية في البناء الاجتماعي والقيمي للإنسان، إذ لا يمكن تصور فرد مجرد من انتماء، كما لا يمكن تخيّل مجتمع بلا رابطة تجمع أفراده وتشدّ بعضهم إلى بعض. وقد جاءت السنة النبوية لتؤكد هذه الحقيقة الوجودية، ولتُعيد صياغتها ضمن إطار شرعي وأخلاقي ينسجم مع مقاصد الشريعة، ويضمن للإنسان حياة مستقرة قائمة على الوعي والمسؤولية والمشاركة الفاعلة في عمارة الأرض. وليس غريباً أن نجد أن كل تفصيل من تفاصيل السيرة النبوية – من الهجرة إلى بناء الدولة في المدينة، ومن المواقف الوجدانية للنبي ﷺ تجاه مكة والمدينة، إلى النصوص التشريعية التي تحدد علاقة الإنسان بالأرض – يحمل دلالات عميقة تكشف عن وجود رؤية نبوية واضحة لمفهوم الانتماء الوطني، بعيداً عن القراءات المتشددة أو التحليلات الحديثة المتأثرة بالتجارب الغربية. وفي هذا المبحث، سنتناول المفهوم الشرعي

للانتماء والولاء من جهة، والأسس الأخلاقية التي وضعتها السنة لترسيخه من جهة أخرى، وذلك عبر مطلبين موسّعين.

المطلب الأول: المفهوم الشرعي للانتماء والولاء

حين نتناول مفهوم الانتماء في ضوء السنة النبوية، نجد أننا أمام منظومة قيمية مترابطة، لا تُختزل في مجرد مشاعر عاطفية، ولا في ارتباط مادي بالأرض، بل تمتد لتشمل البعد الروحي، والوعي الحضاري، والمسؤولية الاجتماعية. فالانتماء – بمفهومه الشرعي – هو رابطة تجمع الإنسان بوطنه الذي يعيش فيه ويحمل هويته، ويشارك أبناءه في بناء حاضره وصناعة مستقبله. وهذا المفهوم ليس مستورداً من الفكر السياسي الحديث، بل هو متجذر في النصوص الإسلامية.

وقد قدمت السنة تعريفاً عملياً عميقاً لمفهوم الانتماء، من خلال مواقف النبي ﷺ التي لا يمكن قراءتها إلا بوصفها تعبيراً نبوياً واضحاً عن حب الوطن. ففي اللحظة التي أجبر فيها على مغادرة مكة، وقف ينظر إليها قائلاً: «والله إنك لأحبُّ بلاد الله إليّ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت[1]»، وهذا النص يمثل شهادة شرعية قاطعة بأن حب الوطن جزء من فطرة الإنسان، وأن الانتماء للأرض ليس عرضاً عابراً، بل هو حاجة نفسية ووجدانية وروحية، تنبع من طبيعة الإنسان الذي يتشكّل وعيه في المكان الذي يعيش فيه.

وإذا كان الانتماء هو تقدير الوطن والارتباط به، فإن الولاء يمثل الجانب العملي لهذا الارتباط، فهو التزام بحماية الوطن، واحترام نظامه، والحفاظ على أمنه ومصالحه. وقد استخدمت السنة مفهوم الولاء ضمن معانٍ متعددة، منها الولاء للدين، وللأمة، وللجماعة، وللرسالة. لكن هذا الاستخدام لم يكن يوماً على حساب الولاءات الفطرية، كالولاء للأسرة والأرض. بل دلّت نصوص عديدة على أن الولاء الشرعي لا يتعارض مع الولاء الوطني، بل ينسجم معه، ما دام هذا الولاء لا يدفع الإنسان إلى ظلم أو فساد أو عدوان.

ولعلّ أحد أهم المفاهيم التي تحتاج إلى إعادة ضبط في الوعي الإسلامي المعاصر هو مفهوم "الولاء والبراء". فكثير من التيارات المتشددة حصرته في صيغة صدامية لا تعترف بالوطن ولا بحدوده، وجعلت الولاء للدين منافساً للولاء للوطن، وهذا فهم يعارض السيرة النبوية ذاتها، إذ إن النبي ﷺ كان أوفى الناس لأوطانهم، وأكثرهم التزاماً بحمايتها وبالقوانين التي تحفظ أمنها. وقد أقرّ ﷺ حتى للعهد مع المشركين قيمة قانونية وشرعية، كما في صلح الحديبية، مما يعني أن علاقة المسلم بوطنه ومجتمعه أصبحت في مفهوم السنة علاقة قائمة على المسؤولية القانونية والأخلاقية، لا على التعصب أو الانغلاق.[2]

ومن النصوص التي تُظهر أن الانتماء للوطن يدخل في باب الضروريات الشرعية، قول الإمام الشاطبي عند حديثه عن مقاصد الشريعة: إن من أعظمها "حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحها"[3]، وهذا لا يتحقق إلا بوجود وطن مستقر، ودولة تحمي مصالح الناس، وأرض يشعر فيها الفرد بالأمان والحقوق. فالمقاصد العليا – كحفظ الدين والنفس والمال والعقل والعِرض – لا يمكن تحقيقها إلا ضمن دولة ووطن. ومن هنا أصبح الولاء الوطني في أصله جزءاً من الولاء الديني، إذ لا دين دون أرض آمنة، ولا عبادة دون مجتمع يحمي الحقوق ويقيم العدل.

---

[1] ابن حبان، صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993)، ج11، ص 255، حديث رقم 3701.

[2] ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الطبعة الأولى (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1955)، ج3، ص 39.

[3] الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى (الرياض: دار ابن عفان، 1997)، ج2، ص 8.

ويبرز في السنة أيضاً أن الانتماء يرتبط بالأمن ارتباطاً وثيقاً، فقد جعل النبي ﷺ الأمن أحد أعمدة الحياة، قائلاً: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»[4]. وهذا الحديث يعيد صياغة العلاقة بين الوطن والإنسان بطريقة واضحة: لا قيمة للحياة الكريمة ولا معنى للعبادة ما لم يكن الإنسان آمناً في وطنه. وهذا يؤكد أن الأمن الوطني ليس مجرد مسؤولية سياسية، بل جزء من طبيعة الانتماء التي تدفع المسلم إلى الدفاع عن وطنه، وإلى رفض كل ما يهدد السلم الأهلي أو يزعزع المجتمع.

وإذا تأملنا بناء الدولة في المدينة، نجد أنه قائم على مفهوم المواطنة قبل أن يظهر هذا المصطلح بقرون طويلة. فـ"صحيفة المدينة" التي سنها النبي ﷺ أسست لعلاقة تعاقدية بين سكان الدولة من المسلمين واليهود وغيرهم، واعتبرت أن الجميع "أمة" بمعنى سياسي، رغم اختلاف الانتماء الديني. وهذا من أعمق الأدلة على أن الانتماء الوطني في الإسلام لا يقوم على التجانس الديني فقط، بل يقوم على العقد الاجتماعي، وعلى التعاون في حماية الوطن، وعلى المساهمة في بنائه. فالوطن في السنة ليس هوية منغلقة، بل إطار واسع يتسع للتنوع، ويجمع بين مواطنيه مهما اختلفت دياناتهم.[5]

ومن هنا، يصبح من الواضح أن المفهوم الشرعي للانتماء يقوم على ثلاثة مستويات: الأول وجداني فطري، والثاني أخلاقي تشريعي، والثالث عملي سياسي. وهذه المستويات مجتمعة تنسجم تماماً مع مقاصد الشريعة، بل تُفهم الشريعة نفسها في سياقها من خلال الوطن الذي يوفر لها مجال التطبيق والحماية.

المطلب الثاني: الأسس الأخلاقية للانتماء الوطني في السنة النبوية

لا يكتمل مفهوم الانتماء للوطن في السنة إلا بفهم الأسس الأخلاقية التي قامت عليها هذه القيمة، لأن الانتماء في الإسلام ليس مجرد ادعاء، بل ممارسة أخلاقية واقعية. وقد قدّمت السنة منظومة أخلاقية واسعة تُفضي في مجموعها إلى تعزيز الولاء الوطني وترسيخه في سلوك الفرد والمجتمع.

وأول هذه الأسس هو فطرة حب الوطن .فالفطرة أساس الأخلاق، وما دام حب الوطن فطرة، فإن الانتماء يصبح خُلقاً فطرياً تدعمه السنة. ونلاحظ أن النبي ﷺ لم يعِب على أحد حنينه لوطنه، بل عبّر عنه بوضوح، ودعا للمدينة بالبركة، ثم أكّد هذا الحب قائلاً: «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»[6]، ومن اللافت أن النبي ﷺ طلب أن يكون حب المدينة أشدّ، مما يدل على أن الانتماء قابل للتطوير بالتربية والتجربة والإيمان، وأن الوطن ليس مجرد مكان يولد فيه الإنسان، بل هو الأرض التي يعيش فيها، ويتعلم فيها الإيمان، ويشارك في بنائها.

أما الأساس الثاني فهو قيمة الأمن، لأن الوطن بلا أمن لا يعود وطناً، ويصبح الانتماء إليه مجرد فكرة في الفراغ. وقد عظّم النبي ﷺ قيمة الأمن عندما جعلها أصلًا من أصول سعادة الإنسان كما مرّ. وفي السنة نصوص عديدة تحرّم الاعتداء، وتجرّم كل ما من شأنه زعزعة استقرار المجتمع. ومن أوضحها قوله ﷺ:

---

[4] الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الأولى (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998)، ج4، ص 573، حديث رقم 2346.

[5] محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، الطبعة الرابعة (بيروت: دار النفائس، 1987)، ص 59–62.

[6] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1955)، كتاب الحج، حديث رقم 1376.

«من حمل علينا السلاح فليس منا»[7]، وهذا النص يعكس أن الانتماء للوطن لا يقتصر على الشعور، بل يقتضي الالتزام بعدم الإضرار به، وعدم تهديد أمنه واستقراره.

ويتصل بالأمن مباشرة الأساس الثالث، وهو قيمة الأمانة .فالوطن أمانة في عنق كل فرد، وهذا يشمل الوظيفة، والمال العام، والحقوق، والمصالح المشتركة. ولذلك قال النبي ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له»[8]، وهذه القاعدة تجعل الانتماء منضبطاً بالأمانة، بحيث تصبح الخيانة – بجميع صورها – مخالفة للانتماء الوطني، لأنها تهدد مصالح المجتمع وتضعف الدولة.

أما الأساس الرابع فهو احترام العهود والقوانين، وهي قيمة نبوية أصيلة تُشكّل ركيزة للتعايش الاجتماعي. وقد قال النبي ﷺ: «المسلمون عند شروطهم»[9]، وهو حديث يُعد قاعدة قانونية كبرى تؤسس لاحترام العقد الاجتماعي الذي يشكل جوهر المواطنة الحديثة. وبناءً على هذا المبدأ، يصبح احترام قوانين الدولة، والالتزام بالأنظمة العامة، وعدم الإضرار بالصالح العام، واجباً شرعياً يدخل في إطار الولاء للوطن.

ويأتي بعد ذلك الأساس الخامس وهو قيمة العدل .فالعدل هو الذي يجعل الانتماء متوازناً بين الحقوق والواجبات، ويجعل المواطن متعلقاً بوطنه لأن الوطن يوفر له حياة عادلة. قال النبي ﷺ: «إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة»[10]، فالعدل هنا ليس قيمة سياسية فحسب، بل قيمة دينية وروحية، وترسيخ العدل داخل الوطن يزيد من قوة الانتماء ويقوّي علاقة المواطن بدولته.

ومن أبرز الأسس الأخلاقية كذلك قيمة العمل والإنتاج، فالوطن لا يُبنى بالشعارات، بل بالعمل. والسنة ركزت على هذا المعنى بقوة، إذ قال النبي ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»[11]، والإنتاج والعمل والإصلاح جزء من البناء الوطني، وكلها صور عملية للانتماء.

كما أسست السنة لقيمة عمارة الأرض حتى في أحلك الظروف، حين قال النبي ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»[12]، وهذا الحديث يعبر عن فلسفة حضارية عميقة، تربط الفرد بالأرض ربطاً وجودياً، وتجعل من عمارتها واجباً حتى في لحظة الفناء. وهذا من أسمى صور الانتماء الوطني، لأن الوطن في النهاية مشروع إنساني يمتد عبر الأجيال، وليس مرتبطاً بوجود فرد أو جماعة بعينها.

ومن خلال هذه الأسس الأخلاقية، يتضح أن الانتماء الوطني في السنة ليس قيمة ثانوية، بل هو جزء من بناء الإنسان المؤمن. فالانتماء الذي لا يرتبط بالعدل والأمانة والأمن والعمل والإصلاح لا ينسجم مع الرؤية النبوية. ولذلك، فإن السنة قدّمت؛ من خلال هذه القيم، إطاراً أخلاقياً متماسكاً يجعل الولاء للوطن امتداداً للولاء للدين، ويجعل حماية الوطن أداءً شرعياً، وعمارة الأرض شكلاً من أشكال العبادة.

---

[7] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم 100.
[8] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001)، ج3، ص 135، حديث رقم 17397.
[9] أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية (بيروت: المكتبة العصرية، 1997)، ج3، ص 303، حديث رقم 3594.
[10] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، حديث رقم 1827.
[11] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة (بيروت: دار ابن كثير، 1987)، كتاب الإجارة، حديث رقم 2072.
[12] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج5، ص 169، حديث رقم 21502.

المبحث الثاني

مظاهر الانتماء والولاء للوطن في السنة النبوية

تتجلى مظاهر الانتماء والولاء للوطن في السنة النبوية في بعدين رئيسيين: الأول روحي عاطفي يعكس علاقة الفرد بوطنه من حيث الحب والميل الفطري والارتباط العميق بالأمكنة التي حملت ذكرياته وتكوّنت فيها شخصيته، والثاني عملي وظيفي يعبر عن المسؤوليات التي ينهض بها الفرد تجاه وطنه في سبيل حمايته وصيانته وبنائه. وهذا التوازن بين الروح والمسؤولية هو الذي ميّز النموذج النبوي في التعامل مع الوطن، إذ جمع النبي ﷺ بين أصدق صور الحنين إلى الوطن، وبين أعلى درجات العمل الجاد لخدمته والدفاع عنه. وبذلك قدمت السنة تصوراً متكاملاً للانتماء الوطني، يضع المشاعر في سياقها الصحيح.

المطلب الأول: الانتماء الروحي والعاطفي للوطن في السنة النبوية

يُعدّ الانتماء الروحي والعاطفي أحد أعمق صور الانتماء في السنة النبوية، إذ تظهر فيه حقيقة الارتباط بين الإنسان والأرض التي نشأ فيها، وينكشف عبره البعد الوجداني للمواطنة في التصور الإسلامي، وهو بعد لا يمكن تجاوزه أو التقليل من شأنه. فالسنة لم تفرض على الإنسان حب وطنه، بل كشفت عن هذا الحب باعتباره جزءاً من فطرته التي فطره الله عليها. لذلك جاءت المواقف النبوية صادقة وصريحة في التعبير عن هذه المشاعر، مما يجعلها مرجعاً أساسياً في فهم البعد الوجداني للانتماء الوطني.

ولعلّ أبرز مظاهر ذلك ما ورد في حديث الهجرة، حين وقف النبي ﷺ ينظر إلى مكة وقد امتلأت عينه بالمشاعر التي لا يمكن أن تحملها لغة، فقال: «والله إنك لأحبّ بلاد الله إليّ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت»[13]. وهذا النص النبوي لا يُظهر مجرد حنين إلى المكان، بل يكشف عن حب صادق يخرج من قلب من كان مشغولاً بالدعوة والجهاد والتبليغ، لكنه رغم ذلك لم ينسَ وطنه، ولم يتنكر للأرض التي نشأ فيها. وهو من أقوى النصوص التي تؤسس لشرعية الانتماء العاطفي للوطن.

وعندما استقر النبي ﷺ في المدينة، لم تكن هذه الأرض في البداية وطنه، لكنها أصبحت كذلك بفعل الإيمان والمشاركة، ولذلك دعا الله قائلاً: «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبّنا مكة أو أشد»[14]. وهذا الدعاء يكشف عن حقيقة عميقة، وهي أن الانتماء ليس ثابتاً بالولادة فقط، بل يمكن بناؤه بالعيش المشترك، والإحساس بالأمن، والمشاركة في صناعة مستقبل المكان. فالمدينة لم تكن موطن النبي في أول الأمر، لكنها أصبحت موطنه بمرور الزمن، لأنها أصبحت مركز رسالته ومقر جماعته. ومن هنا يظهر أن الانتماء ليس حكراً على الموطن الأصلي، بل هو قابل للتشكل والتعمق في أي مكان يعيشه الإنسان حياة حقيقية متشاركة.

وقد عززت السنة مفهوم الانتماء الروحي أيضاً من خلال اعتبار الوطن موضعاً للدعاء والبركة. فقد دعا النبي ﷺ لمكة بالأمن والبركة، ودعا كذلك للمدينة، وأنزل الله تعالى في مكة قوله: {وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}. كما جعل النبي ﷺ من الأمن أحد أعمدة الحياة الطيبة، فقال: «من أصبح منكم آمناً في سربه... فكأنما حيزت له الدنيا»[15]. فالعلاقة بين الأمن والانتماء علاقة وثيقة، إذ لا يمكن تصور حب الوطن بمعزل عن الأمن النفسي والجسدي.

---

[13] ابن حبان، صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993)، ج11، ص 255، حديث رقم 3701.

[14] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1955)، كتاب الحج، حديث رقم 1376.

[15] الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الأولى (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998)، ج4، ص 573، حديث رقم 2346.

ومن مظاهر الانتماء الروحي كذلك ارتباط النبي ﷺ بأماكن محددة داخل الوطن، ليس لمجرد المكان، بل لما يحمله من ذكريات ومعانٍ. فقد كان يتحنّث في غار حراء قبل البعثة، ويعود إليه بعد الإسلام، ويُظهر تعلقه بالشِّعاب والجبال المحيطة بمكة. وهذا كله يؤكد أن الانتماء ليس فكرة تجريدية، بل هو شبكة من المشاعر التي تربط الإنسان بأمكنة ارتبطت بدوره في الحياة.

ويضاف إلى ذلك أن السنة اعتبرت "الدار" امتداداً لفكرة الوطن، فجاء الحديث النبوي: «الجار قبل الدار»[16] ليعبر عن أن الإنسان مرتبط بداره وجيرانه ومجتمعه المحلي، وأن هذا الارتباط جزء من توازنه النفسي والاجتماعي. وإذا كان الإسلام قد أمر بحسن الجوار، فإن هذا أحد جوانب الانتماء الروحي الذي يجعل الفرد جزءاً من نسيج اجتماعي متماسك.

كما أن ارتباط الانتماء الروحي بالأخلاق يظهر بوضوح في النصوص التي تُحذّر من الاعتداء على أمن الوطن. فقد قال النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»[17]. وهذه العبارة القاطعة تكشف أن الشخص الذي يعتدي على مجتمعه أو يروّع أهله قد خرج من إطار الانتماء، لأن الانتماء ليس شعوراً فقط، بل مسؤولية أيضاً، ومن يخون هذه المسؤولية يُسقط عن نفسه صفة الانتماء.

ومن خلال هذه المظاهر كافة، يتضح أن الانتماء الروحي والعاطفي للوطن في السنة ليس مجرد عاطفة لحظية، بل هو جزء من فطرة الإنسان، وهو أيضاً عنصر مهم في بناء شخصية المؤمن المتوازنة. فحب الوطن يرافق الإنسان في غربته، ويظل محفوراً في وجدانه، ويشكل جزءاً من توازنه الداخلي، ولذلك لم تُنكر السنة هذا الحب، ولم تقل إنه يعارض الإيمان، بل جعلته جزءاً منه، كما جعلت هذا الحب أساساً للتكليف وعمارة الأرض وبناء المجتمع.

المطلب الثاني: الانتماء العملي والوظيفي للوطن في السنة النبوية

إذا كان الانتماء الروحي يمثّل البعد الوجداني في علاقة الإنسان بوطنه، فإن الانتماء العملي يمثل البعد السلوكي والمسؤوليات التي ينهض بها الفرد تجاه وطنه. وقد اهتمت السنة بهذا البعد اهتماماً بالغاً، إذ إنه هو الذي يحوّل الانتماء من مجرد شعور إلى فعل، ومن عاطفة إلى بناء، ومن ميل إلى مسؤولية. وهذا البعد هو الذي تحتاجه الأوطان في واقعها العملي، لأن الوطن لا يقوم بالعواطف وحدها، بل بالأعمال التي تحقق الاستقرار والأمن والعدل والازدهار.

ولعل أول مظاهر هذا الانتماء العملي هو الدفاع عن الوطن، وهو من أرقى صور الولاء الوطني. فقد جعل النبي ﷺ الرباط في الثغور من أعظم الأعمال، فقال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»[18]. وهذا الحديث يكشف أن حماية الوطن ليست مصدراً للأجر فحسب، بل هي أيضاً واجب تقوم عليه حياة المجتمع، إذ لا يمكن لأي أمة أن تعيش بلا حماية لحدودها وبلا رجال يحمون أمنها. ولذلك كان الصحابة يتطوعون لحراسة المدينة ليلاً، واعتبر الإسلام حراسة الوطن من الجهاد، لما فيها من حفظ للمجتمع والدولة.

إلى جانب ذلك، تُعد إقامة العدل أحد أهم مظاهر الانتماء العملي للوطن. فالمواطن الذي يرى أن وطنه قائم على العدل يشعر بالانتماء إليه، بينما الذي يعيش الظلم يبتعد وجدانياً عنه. لذلك قال النبي ﷺ: «إن المقسطين

---

[16] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990)، ج2، ص 268.
[17] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم 100.
[18] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة (بيروت: دار ابن كثير، 1987)، كتاب الجهاد، حديث رقم 2892.

عند الله على منابر من نور»[19]. وهذا لا يتعلق بالحاكم فقط، بل بكل من يمارس سلطة أو ولاية أو يعمل في موقع يؤثر في الناس. فالعدل لا يحقق فقط رضا الله، بل يحقق الانتماء للدولة، ويجعل المواطن يفتخر بوطنه ويحرص على خدمته.

وفي السنة أيضاً يظهر بوضوح أن احترام القوانين والعهود جزء من الانتماء الوطني. فالنبي ﷺ قال: «المسلمون عند شروطهم»[20]، وهو نص يضع أساساً للاحترام المتبادل بين المواطن والدولة، ويجعل الالتزام بنظام البلد واجباً شرعياً، لأن الخروج على العقد الاجتماعي خروج على روح الانتماء ذاته. ولذلك كان النبي ﷺ يحترم العهود حتى مع غير المسلمين، كما فعل في صلح الحديبية، وكما فعل مع اليهود في المدينة.

أما الجانب الثالث من الانتماء العملي فهو محاربة الفساد، إذ لا يمكن تصور وطن مزدهر إذا تُرك الفساد ينخر فيه. وقد لعن النبي ﷺ الراشي والمرتشي[21]، واعتبر الفساد خيانة للوطن والمجتمع. فالوظيفة العامة ليست ملكاً لشاغلها، بل ملك للوطن، وأي تعدٍّ عليها هو اعتداء على مصالح المجتمع كله. ومن هنا يصبح النزاهة جزءاً من الانتماء.

ومن أبرز مظاهر الانتماء العملي أيضاً العمل والإنتاج والإعمار، وهي قيم أساسية في السنة. فالعمل يكشف عن ارتباط المواطن بوطنه، لأن الذي يحب وطنه يبنيه، ولا ينتظر من الآخرين أن يقوموا نيابة عنه بما يجب عليه. وقد قال النبي ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»[22]. وهذا الحديث يحمّل الإنسان مسؤولية السعي والكسب والإنتاج، لأن الوطن الذي لا يعمل أبناؤه يظل ضعيفاً وعالة على غيره.

ويتصل بالعمل مفهوم عمارة الأرض، وهو مفهوم محوري في الفقه الإسلامي، وقد عبّر عنه النبي ﷺ بأعظم عبارة، حين قال: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[23]. فالعمارة هنا ليست مجرد عمل اقتصادي، بل رسالة وجودية تجعل الإنسان مرتبطاً بالأرض حتى في لحظة نهاية العالم. وهذا الارتباط في أقصى لحظاته يعبّر عن عمق الانتماء الذي يريد الإسلام أن يبنيه في نفوس أبنائه.

كما أن السنة اهتمت أيضاً بمفهوم الطاعة السياسية المشروطة، إذ جعلته أساساً لاستقرار الوطن، لكنها قيّدته بأن يكون "في المعروف"، فقال ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف»[24]. وهذا يعني أن الطاعة التي تحفظ النظام العام وتحقق مصلحة المجتمع هي جزء من الانتماء الوطني، بينما الطاعة التي تؤدي إلى الظلم لا تدخل في هذا الباب.

وتظهر السنة أن الانتماء العملي يشمل كذلك الإصلاح الاجتماعي، وهو ما عبّر عنه النبي ﷺ بقوله: «الدين النصيحة»[25]. فالنصيحة للحكام والمسؤولين والمجتمع هي شكل من أشكال الانتماء، لأنها تهدف إلى حماية الوطن من الانحراف، وإلى تحسين أداء الدولة.

---

[19] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، حديث رقم 1827.
[20] أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية (بيروت: المكتبة العصرية، 1997)، ج3، ص 303، حديث رقم 3594.
[21] الترمذي، سنن الترمذي، ج3، ص 622، حديث رقم 1336.
[22] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإجارة، حديث رقم 2072.
[23] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001)، ج5، ص 169، حديث رقم 21502.
[24] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، حديث رقم 7145.
[25] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم 55.

وبذلك يتضح أن الانتماء العملي في السنة النبوية يضم مجموعة واسعة من المسؤوليات، تبدأ من حماية الوطن، وتمر بالعدل والنزاهة والإنتاج، وتنتهي بالإصلاح والتعاون. وهو انتماء يجعل كل فرد يشعر بأن له دوراً في حماية الوطن وازدهاره، لا مجرد متلقي للخدمات، بل شريك في البناء.

المبحث الثالث

القيم النبوية في تعزيز الولاء والانتماء في المجتمعات الحديثة

إن المتأمل في الواقع الاجتماعي والسياسي للأمة الإسلامية اليوم يلحظ حجم التحديات التي تواجه بناء الوعي الوطني، في ظل تعدد الخطابات الفكرية، وتضارب التوجهات، وتنامي النزاعات الداخلية، والضغوط الخارجية، والانقسامات السياسية والطائفية. وكل هذه العوامل أسهمت في إضعاف صورة الانتماء الوطني لدى الأفراد، وخلقت حالة من الارتباك المفاهيمي حول معنى الولاء، ودوائر الانتماء، وحدود العلاقة بين الدين والوطن. ومن هنا تبرز أهمية العودة إلى السنة النبوية بوصفها مصدراً أصيلاً يمكن من خلاله إعادة بناء مفهوم الانتماء بصورة متوازنة، تقوم على منظومة قيمية راسخة تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

لقد قدمت السنة نموذجاً فريداً في فهم الولاء والانتماء، حيث لم تختزل الانتماء في بعد واحد، ولم تجعله مجرد ارتباط بالدين أو بالأرض فقط، بل جمعت بينهما في إطار متكامل يجعل الانتماء للوطن امتداداً للإيمان ذاته، وجعل الولاء مسؤولية شرعية وأخلاقية. وفي هذا المبحث سنحاول استكشاف القيم التربوية والإنسانية التي أرستها السنة لتعزيز الولاء الوطني، وكيف يمكن توظيفها في مواجهة التيارات التي تهدد الوعي الوطني أو تعمل على تفكيكه.

المطلب الأول: القيم التربوية والإنسانية المستفادة من السنة في تعزيز الولاء والانتماء الوطني

حين نتأمل السيرة النبوية نجد أنها لم تبنِ الانتماء على الدعاية ولا على الخطابات الحماسية، بل بنته على منظومة قيم تربوية، شكّلت الأساس الأخلاقي للمجتمع الإسلامي الأول. ومن أهم هذه القيم قيمة المسؤولية، إذ جعل النبي ﷺ كل فرد مسؤولاً عن وطنه ومجتمعه ودينه، بقوله: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»[26]. فالمسؤولية هنا ليست سياسية ولا وظيفية فقط، بل هي شعور داخلي يحملك على أن تكون فاعلاً في مجتمعك، مشاركاً في صنع مستقبله، رقيباً على نفسك وعلى من تحب. والمسؤولية بهذا المعنى هي جوهر المواطنة، لأن المواطن المسؤول هو الذي يشعر بأن وجوده مرتبط بوجود وطنه، وأن مصلحته جزء من المصلحة العامة.

ومن القيم التربوية المهمة التي غرسها النبي ﷺ قيمة العمل والبذل. فقد كانت حياته كلها حركة مستمرة نحو البناء والإعمار، ولم يكن يقبل من المسلم أن يكون سلبياً أو عالة على المجتمع. وكان يقول: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»[27]. ومن هنا فإن غرس ثقافة العمل والإنتاج في نفوس الناس هو أحد مؤشرات الولاء الوطني، لأن الوطن الذي يعمل أبناؤه هو وطن قادر على النهوض، بينما البطالة والتكاسل والاستهلاك مجرد مظاهر لانهيار حسّ المسؤولية والانتماء.

كما نجد في السنة قيمة السلم والتعايش التي شكلت أساس الدولة النبوية. فقد أسس النبي ﷺ مجتمع المدينة على مبدأ التعايش بين المسلمين واليهود وغيرهم على أساس الحقوق والواجبات المشتركة، كما نصّت

---

[26] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة (بيروت: دار ابن كثير، 1987)، كتاب الأحكام، حديث رقم 7138.

[27] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإجارة، حديث رقم 2072.

"صحيفة المدينة". وهذا التعايش لم يكن مجرد اتفاق سياسي، بل كان رؤية نبوية ترى أن الوطن يسع الجميع، وأن الحفاظ على السلم الأهلي واجب شرعي، لأن الحرب الداخلية تُسقط الانتماء وتدمر الهوية الوطنية. وهذا ما جعل النبي ﷺ يحذر من الفتنة، ويقول: «الفتنة نائمة، لعن الله من أيقظها»[28]. فالفتنة لا تهدد الدين فقط، بل تهدد الوطن كله.

ومن القيم التي تعزز الولاء الوطني قيمة الإصلاح. فقد كان النبي ﷺ يعتبر الإصلاح بين الناس، وحل النزاعات، ودعم الصلح عملاً عظيماً، فقال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى، قال: إصلاح ذات البين»[29]. فالإصلاح هو الذي يحفظ المجتمع من التفكك والانقسام، ويعيد الثقة بين المواطنين، ويجعل الناس ينظرون لبعضهم باعتبارهم شركاء في الوطن لا خصوماً.

وتبرز من السنة أيضاً قيمة الشورى، التي تُعد من أركان الدولة الصالحة. فعندما نزل قوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}، أصبح التشاور أسلوباً إدارياً يُعزّز الشعور بالمشاركة والولاء للدولة[30]. فالمواطن الذي يشعر أنه جزء من القرار يزداد انتماؤه، بينما المواطن الذي يُقصى عن القرار يفقد الثقة في وطنه.

ومن القيم المركزية كذلك قيمة العدل، وهو أساس قيام الدول. وقد كان النبي ﷺ عادلاً في كل شؤونه، حتى إنه أقام الحدود على المقربين منه. وقال: «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد»[31]. فالعدل هنا ليس مجرد قيمة دينية، بل هو أساس بناء الوطن، لأنه يقوّي الانتماء ويُشعر المواطن بأن وطنه يحميه، وأنه ليس هناك من هو فوق القانون.

ومن القيم التربوية التي تعزز الولاء الوطني أيضاً قيمة الأخوة الإنسانية، إذ قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[32]. وهذا المبدأ يجعل الانتماء يتسع ليشمل المجتمع بأكمله، لأنك حين تحب الخير للآخرين تشعر بأنك جزء منهم، وتصبح مصلحة الوطن بالنسبة إليك جزءاً من إيمانك وعقيدتك.

وبذلك يمكن القول إن القيم التربوية التي أرستها السنة تُعد أساساً منهجياً لبناء الانتماء الوطني، وهي قيم تحتاجها المجتمعات الحديثة التي تعاني من التفكك الاجتماعي، وغياب المسؤولية، وتراجع روح العمل، وانتشار الفردية على حساب الصالح العام.

المطلب الثاني: توظيف السنة في مواجهة خطاب التطرف وفقدان الانتماء الوطني

إن واحدة من أكبر التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم هي انتشار الخطابات المتطرفة التي تفرغ مفهوم الوطن من مضمونه، وتقيم تعارضاً مصطنعاً بين الانتماء للدين والانتماء للوطن. وقد أدى هذا الخطاب إلى تغيير وعي كثير من الشباب، الذين أصبحوا يرون الوطن مجرد "حدود سياسية مصطنعة"، أو يعتبرون الانتماء الوطني نوعاً من "العصبية الجاهلية". وهذا تصور يفتقر إلى فهم السنة النبوية.

فالنبي ﷺ، رغم أنه قائد الأمة، إلا أنه كان أيضاً قائداً للوطن. وكان يدافع عن وطنه الجديد (المدينة) كما كان يحب وطنه القديم (مكة). بل إن القرآن أمره بالدفاع حتى عن الأرض التي هاجر إليها، لأنها أصبحت جزءاً

---

[28] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990)، ج2، ص 141.
[29] أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية (بيروت: المكتبة العصرية، 1997)، ج4، ص 279.
[30] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاكر، الطبعة الأولى (القاهرة: مطبعة دار المعارف، 1954)، ج4، ص 222.
[31] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الحدود، حديث رقم 1688.
[32] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، حديث رقم 13.

من رسالته، فقال تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}[33]. وهذا يعني أن الدفاع عن الوطن هو دفاع عن الدين، لأن الدين لا يُنتَج ولا يُحفظ إلا في إطار أرض آمنة.

ويُعد فهم السنة أحد أهم الأسلحة الفكرية لمحاربة التطرف الذي يسعى إلى تفكيك الانتماء الوطني. فالسنة ترفض التكفير، وترفض العنف ضد المجتمع، وترفض الخروج على الدولة، وترفض الاعتداء على الآمنين. وقد قال النبي ﷺ: «من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها... فليس مني»[34]، وهذا نص صريح في رفض كل عمل يمس وحدة الوطن ومجتمعه.

كما ترفض السنة دعوات هدم الدولة أو التحريض عليها، لأنها ترى في الدولة ضرورة لحفظ الدين والنفس والمال. وقد قرر العلماء أن إقامة الدولة مقصد شرعي لأنها الوعاء الذي تُقام فيه الشرائع. وهذا يجعل الحفاظ على الوطن والدولة واجباً مقدماً، لأن انهيارهما يعني انهيار الدين والمجتمع.

إن توظيف السنة في مواجهة التطرف يمرّ عبر مجموعة من المحاور، أولها إعادة تفسير النصوص تفسيراً مقاصدياً، بحيث يقترب الإنسان من روح الدين لا من ظواهر النصوص. والمحور الثاني هو بناء خطاب تربوي يعزز الولاء الوطني من خلال القيم التي أرستها السنة، مثل المسؤولية والأمانة والعمل والعدل والرحمة. والمحور الثالث هو نشر الوعي بأن الانتماء الوطني لا يناقض الولاء الديني، بل هو امتداد له، وأن النبي ﷺ نفسه كان نموذجاً في الجمع بين الانتماء للوطن والولاء للدين دون تعارض.

أما المحور الرابع فهو التأكيد على أن الوطن ليس مجرد مساحة جغرافية، بل هو مجتمع متكامل، وأن التفريط في استقراره أو أمنه هو اعتداء على مقاصد الشريعة. ولذلك كان النبي ﷺ يعتبر حماية الدماء والأموال والأعراض من أعلى مراتب العمل الصالح، فقال في خطبة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[35]. وهذه القاعدة لا تحمي الفرد فقط، بل تحمي الوطن كله.

كما أن السنة تشكل مرجعاً مهماً في مواجهة الفكر الانعزالي الذي يدفع الشباب إلى ترك أوطانهم، أو التقليل من قيمة المواطنة. فالنبي ﷺ لم يغادر وطنه إلا مُكرهاً، وكان يسعى إلى العودة، وأقام في المدينة دولة نموذجية ولم يهرب من مسؤولياته رغم المصاعب. وهذه المواقف النبوية تغرس في الشباب معنى الصبر على الوطن، والعمل من داخله على إصلاحه.

ومن التطبيقات المهمة للسنة في تعزيز الانتماء الوطني في العصر الحديث تعزيز مفهوم "الهوية الجامعة"، التي لا تلغي الاختلافات الطائفية أو العرقية أو المذهبية، لكنها تجمع المواطنين تحت سقف المواطنة والمصلحة العامة. وقد جسدت "صحيفة المدينة" هذه الفكرة بوضوح حين جعلت من المسلمين واليهود "أمة من دون الناس"، أي مجتمعاً واحداً رغم اختلاف الدين[36]. وهذا نموذج يحتاجه العالم الإسلامي اليوم لاستعادة وحدته الوطنية.

وبذلك يمكن القول إن السنة تقدم منظومة فكرية عميقة يمكن توظيفها في مواجهة التطرف، وإعادة بناء الانتماء الوطني، وتأسيس وعي جديد يحترم الوطن، ويحافظ على أمنه، ويجعل الولاء له جزءاً من الإيمان والسلوك.

---

[33] الطبري، جامع البيان، ج17، ص 92.
[34] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001)، ج12، ص 364، حديث رقم 7340.
[35] مسلم، صحيح مسلم، كتاب القسامة، حديث رقم 1679.
[36] محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، الطبعة الرابعة (بيروت: دار النفائس، 1987)، ص 59–62.

الخاتمة

تكشف القراءة المتعمقة للنصوص النبوية، في ضوء تحليل المفاهيم والقيم والسياقات التاريخية، أن السنة النبوية قدّمت تصوراً متكاملاً للانتماء والولاء للوطن، يتجاوز الفهم الضيق الذي حصره بعض الاتجاهات في دائرة الشعور العاطفي أو الولاء السياسي فحسب. فقد أكّدت السنة، من خلال مواقف النبي ﷺ وسلوكه وتعاليمه، أنّ الانتماء للوطن جزء من تكوين الإنسان، وأنه فطرة راسخة لا تنفصل عن منظومة القيم التي تحكم علاقة الإنسان بذاته، وبمجتمعه، وبالأرض التي يعيش عليها. ومن خلال تتبع هذه القيم، يتضح أنّ السنة قدّمَتْ نموذجاً متوازناً يجعل الولاء للوطن امتداداً طبيعياً للولاء للدين، وأنّ حماية الوطن، وصيانة أمنه، والالتزام بنظامه العادل، والعمل على بنائه، هي واجبات شرعية وأخلاقية في الوقت ذاته.

وقد أظهرت الدراسة أن الانتماء الروحي والعاطفي للوطن لم يكن غائباً عن السيرة، بل كان جليًا في نظر النبي ﷺ إلى مكة وحنينه إليها، وفي دعائه للمدينة بالبركة والأمن، وفي ربطه السعادة بالأمن والاستقرار. وكل ذلك يؤكد أن حب الوطن قيمة فطرية عززتها السنة لا لأنها ضرورة اجتماعية فحسب، بل لأنها أساس نفسي وروحي تتكون فيه ملامح الشخصية الإنسانية. كما برز الانتماء العملي بوصفه مسؤولية مترتبة على هذا الحب، عبر الدفاع عن الوطن، وإقامة العدل فيه، والالتزام بالنظام العام، ومحاربة الفساد، والعمل على بنائه وإعماره.

وبينت الدراسة أيضاً أن السنة تُعد إطاراً مفاهيمياً قوياً يمكن الاعتماد عليه في مواجهة خطاب التطرف الذي يحاول إضعاف الانتماء الوطني، من خلال زرع تعارض مصطنع بين الولاء الديني والانتماء للأرض. وفي مواجهة هذا الخطاب، تكشف السنة عن نموذج نقي، يجمع بين الإيمان والدولة، بين الروابط الروحية والحقوق المدنية، وبين الهوية الدينية والهوية الوطنية. فالنبي ﷺ الذي كان رسولاً كان أيضاً قائداً وطنياً، يحب وطنه، ويحمي أرضه، ويعمل على بناء دولته، ويضع أسس المواطنة في "صحيفة المدينة"، التي تُعد أول وثيقة سياسية مدنية في التاريخ الإسلامي.

النتائج:

أولاً، أن الانتماء للوطن في السنة يقوم على مبدأ الفطرة، فهو ليس انحيازاً عاطفياً، بل بُعداً إنسانياً راسخاً أقره النبي بقوله وفعله، كما في حديث الهجرة ودعائه لمكة والمدينة. وهذه الفطرة هي نقطة البداية في تكوين الولاء الوطني.

ثانياً، أن الولاء الوطني في الإسلام يقوم على منظومة أخلاقية تشمل الأمانة، والعدل، والمسؤولية، واحترام العهود، والعمل، والإنتاج، ومكافحة الفساد. وكل قيمة من هذه القيم تُعد لبنة في بناء الوطن، ومن يخون هذه القيم يخون وطنه دون أن يشعر.

ثالثاً، أن حماية الوطن والدفاع عنه من صميم الدين، لأن الشريعة لا تقوم إلا في وطن آمن، ولأن مقاصدها الكبرى – من حفظ الدين والنفس والمال والعقل والعِرض – لا تتحقق إلا في ظل دولة مستقرة. ومن هنا أصبح الدفاع عن الأرض جهاداً، وحراسة الوطن عبادة، وإصلاح المجتمع مسؤولية.

رابعاً، أن السنة تُعد منظومة فكرية قوية في مواجهة التطرف، لأنها ترفض تكفير المجتمع، وتجرّم الخروج على الدولة، وتحرّم الاعتداء على الآمنين، وتدعو إلى السلم الأهلي وإصلاح ذات البين. وهذا يجعلها أداة مركزية في بناء وعي وطني يقف ضد خطاب العنف والكراهية.

خامساً، أن الانتماء الوطني عنصر مهم في بناء الهوية الجامعة، لأن الهوية الإسلامية لا تلغي الهوية الوطنية، بل تحتويها وتُهذبها وتوجّهها. وقد ظهر ذلك في "صحيفة المدينة" التي جمعت بين المسلمين واليهود وغيرهم في هوية وطنية سياسية واحدة.

وبناءً على ما تقدم، فإن تعزيز قيم الانتماء في المجتمعات الحديثة يحتاج إلى العودة إلى السنة بوصفها مرجعاً تربوياً وأخلاقياً، وإلى إعادة بناء الخطاب الديني بما يتوافق مع روح السيرة، لا مع التأويلات المتشددة أو المتسيّسة. كما يتطلب ذلك دوراً تربوياً للمدرسة والأسرة والمسجد والإعلام، من خلال غرس المفاهيم الصحيحة للانتماء، وتعظيم قيمة العمل العام، وتقوية روح المسؤولية الاجتماعية.

وأخيراً، فإن قراءة السنة بروح مقاصدية تُظهر أن الوطن ليس مجرد مكان، بل هو هوية، وتاريخ، ومسؤولية، وعبادة، ورسالة. وأن حماية الوطن وعمارة الأرض وتقديم المصلحة العامة ليست شأناً سياسياً فحسب، بل هي جزء من دين الإنسان وخلقه. وهذا الفهم هو ما تحتاجه الأمة اليوم لبناء وعي وطني قوي، يحمي المجتمع من الانقسام، ويعيد بناء الدولة على أسس من الرحمة والعدل والسلم.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية الأصلية

1. أحمد بن حنبل.مسند الإمام أحمد بن حنبل .تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001.

2. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية .القاهرة: مكتبة السنة، 1988.

3. ابن حبان، محمد بن حبان البستي.صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان .تحقيق شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993.

4. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر.زاد المعاد في هدي خير العباد .بيروت: مؤسسة الرسالة، 2010.

5. ابن هشام، عبد الملك.السيرة النبوية لابن هشام .تحقيق مصطفى السقا وآخرين. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1955.

6. أبو داود، سليمان بن الأشعث.سنن أبي داود .تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، 1997.

7. البخاري، محمد بن إسماعيل.صحيح البخاري .تحقيق مصطفى ديب البغا. بيروت: دار ابن كثير، 1987.

8. الترمذي، محمد بن عيسى.سنن الترمذي .تحقيق بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998.

9. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله.المستدرك على الصحيحين .تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، 1990.

10. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى.الموافقات في أصول الشريعة .تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. الرياض: دار ابن عفان، 1997.

11.الطبري، محمد بن جرير.جامع البيان عن تأويل آي القرآن .تحقيق أحمد شاكر. القاهرة: مطبعة دار المعارف، 1954.

12.مسلم بن الحجاج.صحيح مسلم .تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1955.

ثانياً: المصادر العربية المعاصرة

13.أبو زهرة، محمد.المواطنة في الإسلام .القاهرة: دار الفكر العربي، 1995.

14.العلواني، طه جابر.فقه السنن الإلهية .المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991.

15.حميد الله، محمد.مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة .بيروت: دار النفائس، 1987.